

المستخلص

صالح كريم ياسين العلوي . ظاهرة المزدوجات في الشعر العباسي حتى القرن الخامس الهجري (رسالة ماجستير) . - بغداد : الجامعة المستنصرية : كلية الاداب : القسم اللغة العربية ، ٢٠٠٧

من الناحية التاريخية بدايات الشعر العربي ، ولا طريقة نظمه على وجه التحديد ، لكن دراسة مفهوم الشعر تُعد منطلقاً لفهمه وتوجهاً لمعرفة معالم ظواهره لا الفنية. ويمكن القول أن ظاهرة المزدوجات الشعرية ترسم خطأ بارزاً في منطلق دراسة الشعر العربي وفهمه لاتصالها الوثيق بمسيرته التطورية من خلال قدم بعض شعرائها ، وتعدددهم ، وحضورهم على الساحة الأدبية وتطورها . ومن هنا بدأت هذه الدراسة .

❖ في إطار المتغيرات والتحويلات في العصر العباسي، جادت الحياة الأدبية بظاهرة المزدوجات الشعرية بعد أن ألفت مهاداً تاريخياً لها، وامتلكت معطيات النمو والنضج الفني، عندما توفرت لها مسوغات التطور، وفُتحت لها سبل الشبوع والانتشار، ودخلت دائرة النقد والاهتمام من المتقدمين والمتأخرين. والبحث في هذه الظاهرة انطلق من الدراسة الموضوعية التي بدأت بالتمهيد، مهتماً بالدراسة التاريخية التطورية النقدية لمصطلح (المزدوجات). وحاول بيان مدى صحة ظاهرة المزدوج الشعري وثيقة تاريخية ، شكّل منطلقها مطلع العصر العباسي ، ونمت ونضجت في مناخ التطور والتجديد طوال هذا العصر وظلت امتداداتها مؤثرة إلى يومنا هذا .

❖ ومما ابتغاه البحث تحليل ظاهرة المزدوجات وتفسيرها وكشف إبداعها الشعري في ضوء دراسة موضوعية – فنية لا تخرج عن إطار تطور مسارها التاريخي ، وإنما تجمع بين (الموضوعات واللغة والصورة والموسيقى) وبين التطور التاريخي لهذه الظاهرة . فقد تعاملت الظاهرة هذه مع أغراض شعرية منها التقليدية ومنها التقليدية المتجددة ، ومنها الجديدة المستحدثة .

❖ وحاول البحث كذلك أن يستقصي أبرز شعراء المزدوجات والتركيز على أهم النصوص الشعرية لهم بهذا الفن في العصر العباسي. والوقوف على نتائجهم في هذا اللون الشعري، ورصد التطور الأدبي والتاريخي لموضوعات هذه القصائد وأغراضها العامة في معرض الحياة العباسية العامة الذي ترك فسحة للتأويل ولتعدد وجهات النظر المنبثقة من رحابة الحياة والتجربة الشعرية .

❖ وأشارت هذه الدراسة إلى أن ظاهرة المزدوج الشعري تملك مقومات الظاهرة الفنية ومسوّغاتها وتواترها ، وقدرتها على التحوّل من نطاق النتاج الذاتي إلى نطاق النتاج الإبداعي ؛ ولهذا فقد أُلقت إليها الباحثون القدامى بالإشارة والتعريف في كتبهم النقدية والبلاغية ، وحتى التاريخية . وتناولها الدارسون المحدثون في سياق البحث الدائر حول قضايا التجديد والمعاصرة ، وربط ذلك بتطور الشعر شكلاً ومضموناً حتى ظهور الشعر الحديث . فهي ظاهرة تفردت بسمات فنية في سياق القانون العام لقواعد الشعر على الرغم من أن الأسس النفسية التي يقوم عليها الإبداع الفني تشير إلى ((إن الإبداع خارج على كل قانون)) .

❖ ويُستدل مما ذكره القدماء أن الرجز كان أقرب أنواع الشعر الى الحُداء ، مما يعني أنه أقدم أنواع الشعر . والشعر المزدوج ظهر في لباس الرجز مع مطلع العصر العباسي ، وهذا

النمط لا يبتعد كثيراً عما هو مألوف من فنون الشعر في لغته وصياغته وتصويره إلا فيما استجد من أساليب ابتدعها الشعراء العباسيون ومنهم أصحاب المزدوجات الذين لدى بعضهم منتج شعري من غير المزدوج ؛ كونهم يمثلون زمانهم إذ أن لكل عصر فنونه ، ولكل مبدع أسلوبه . وعليه فإن نظم الشعر ، وموسيقيته ، ولغته ، ومعانيه ، وصوره ... قضايا تتصل بفنون الشعر المستقرة منها والجديدة .

❖ إن ظاهرة المزدوج الشعري تمثلت أولى ملامحها في الأرجوزة المصرعة ، أي القصيدة التي تأتي على بحر الرجز وتتنوع فيها القافية عبر تجربة شعرية اجتمعت فيها الموهبة والثقافة عامة ، والثقافة الأدبية والنقدية خاصة ، والمعاناة والطموح . ففي فن المزدوج الشعري قيمة إبداعية لم تتأت من فراغ إنما بتواصل القديم مع المتجدد ، واستشراق المستقبل في فضاءات فنية تتفتح على كل ما هو جديد ...

❖ وتخللت الدراسة بجانبها الموضوعي والفني نظرة أدبية عامة لظاهرة المزدوجات من حيث الطريقة أو الكيفية التي تُبنى بها القصيدة المزدوجة بدءاً بأبيات القصيدة : عددها ، مقدمتها ، متنها ، ثم علاقة البيت بالآخر ، وحسن التخلص الذي يعتمده الشاعر للانتقال من موضوع إلى آخر في إطار الغرض العام للقصيدة . وإذا كانت الدراسة الفنية لهذه الظاهرة تتعلق بالجوانب الصوتية في الأعم الأغلب فإن التوافق بين وحدة الوزن وتنوع القافية في هذه الظاهرة اكسبها قيمتها الفنية ، ومنحها استجابة لمساحة التعبير لدى الشعراء ، فكانت بحق مستودعاً معرفياً ومبعثاً للعواطف والأفكار . ولا تخلو المزدوجات كغيرها من فنون الشعر من عيوب الوزن والقافية ...

❖ ومما خلص البحث إليه إنه لا يمكن دراسة المزدوجات بمعزل عن التاريخ بصورة عامة ، ولا عن التاريخ الأدبي بصورة خاصة. كما لا يمكن الوقوف على نضج هذه الظاهرة والإحاطة بجوانبها الموضوعية والفنية بعيداً عن دائرة الصراع بين القديم والجديد ومنحى النزوع الشعبي والحضاري إلى التجديد والعالمية.

❖ ويبدو من خلال هذه الدراسة الشعرية في ظاهرة المزدوجات إنها أقل تألقاً وجذباً وامتناعاً لغياب التخييل والمجاز ، وضعف الانفعال والإيقاع إلا أن قيمة المزدوجات في الشعر العباسي لا يمكن إغفالها بسبب غناها والتصاقها بالواقع . ويمكن القول أن هذه الظاهرة مثلها النمط الأول من الشعر في القرن الثاني الهجري خير تمثيل ، ونقلت المزدوجات لنا حصيلة الأسلاف في الإبداع والتاريخ والعقائد ، ومختلف الموضوعات . وشعراؤها حولوا الحياة بكل ما فيها إلى نظم وإبداع . وإذا كانت ظاهرة المزدوجات أو ما يشابهها في تراثنا الأدبي ضرباً من الشعر الذي لا تستقيم معه التسمية في نظر بعض الباحثين القدامى والمعاصرين فذلك لأن محتوى مفهوم الشعر غير ثابت ، وهو يتغير مع الزمن .

وحقيقة الأمر إنه لا يمكن لرسالة أكاديمية محدودة أن تلم بمعالم الخريطة الشعرية العامة لظاهرة المزدوجات عبر عصر امتد لأكثر من خمسة قرون ، وعلى ضوء زمانية الموضوع وأهميته يمكن القول أنه يحتمل أن تكتب فيه بحوث عدة منها :

- أثر الأراجيز المزدوجة في كتابة التاريخ .
- الأراجيز والأراجيز المزدوجة (دراسة مقارنة) .
- النظم المزدوج بين بحر الرجز والبحور الأخرى ما بعد العصر العباسي .
- مستوى الإبداع عند الشعراء بين أشعارهم المزدوجة وغير المزدوجة (دراسة فنية مقارنة) .
- أسلوب التقديم والتأخير في بناء المزدوجة الشعرية .
- المزدوجات عند الشعراء المحدثين (دراسة موضوعية فنية) .

وأخيراً أمل أن يكون جهدي المتواضع هذا إضاءة لظاهرة أدبية مهمة في سفر الأدب العربي ، وفي
أهم عصر من عصوره وأطولها زمناً ... سائلاً الله التوفيق فيما سعيت إن